

مثل هذا الشعر يفصح غروره كل من يتعرض لبيان نواحي السمو فيه، لأنه يجمع الجمال من أطرافه: جمال اللفظ، وجمال المعنى، ويتبجح من ذلك في الذرا والمقدم؛ ومن لأهل الأرض بأن يصعدوا إلى السماء!

* * * *

ولم يكتف الصفوية بنظم الأشعار التي تعبر عن وجداناتهم وأذواقهم وإحساساتهم، بل تغنوا بها في محافلهم ومجالسهم، وطربوا بسماع ألحانها الرقراقة ونغماتها المشعشة، وكان لسماح الغناء عندهم منزلة تسامي منزلة الشعر، أو تفوتها بمراحل، وأكثر ما كان تواجههم عند السماع، وقد تغنوا بشعر غيرهم، كما تغنوا بشعرهم، بعد أن فسروا ألفاظه الحسية على ما يوافق أذواقهم.

روى ابن عبد ربه (1): أن شيخاً من أهل المدينة صحب شاباً في سفينة، ومعهم جارية تغني؛ فقال الشاب للشيخ: إن معنا جارية تغني، ونحن نجلك، فإذا أذنت لنا فعلنا. قال: فأنا أعتزل، وافعلوا ما شئتم؛ فتنحد؛ وغنت الجارية:

حتى إذا الصبح بدا ضؤه **** وغابت الجوزاء والمرزم

أقبلت والوطاء خفي كما **** يناسب من مكمنه الأرقم

فرمى الناسك بنفسه في الفرات، وجعل يخط بيديه طرباً، ويقول: أنا الأرقم فأخرجوه وقالوا: ما صنعت؟! فقال: إني أعلم من تأويله ما لا تعلمون!.

وروى ابن خلكان في ترجمة ذي النون المصري، قال: كان بأربل مغن موصوف بالحذق والمهارة في صنعه يقال له: جبريل... سمعه ذو النون يوماً يغني من قصيدة سبط بن التعاويذ في مدح الناصر لدين الله أحمد بن المستضيء التي مطلعها:

سقاك سار من الوسمى هتان **** ولا رقت للغوادي فيك أجفان

قوله:

ولى إلى البان من رمل الحمى وطر **** فالיום، لا الرمل يصيبني ولا البان

وما عسى يدرك المشتاق من وطر **** إذا بكى الربع والاحباب قد بانوا

وليلة بات يجلوها الرح من يده **** فيها أغن خفيف الروح جذلان

